حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد الله الذي خلقنا للعبادة، وفرض علينا أن نجاهد فيه حق جهاده، أحمده وأشكره، وأسأله الفضل والزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهي أعظم شهادة، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نصره ربه وبلغه مراده، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، ومن تابعهم في العمل والنية والإرادة.
أما بعد: فإن من آمن بالله -تعالى- ربًّا، ورضي بالإسلام دينا، واتبع شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- وجب عليه أن يكمل ما التزمه من الاتباع والاقتفاء، والتمسك بالشريعة، والعمل بوصية النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما أوصى أصحابه بقوله: { عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ } أخرجه الترمذي برقم (2676)، وأبو داود برقم (4607)، وابن ماجه برقم (42)، وأحمد في المسند: (4/ 126، 127). من حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه-. وحينما أخبر بقوله: "المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد" أخرجه أبو نعيم في الحلية: (8/200)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (1/ 172)، والمتقي الهندي في كنز العمال: (1071)، والزيلعي في نصب الراية: (2/ 190)، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-. قال المنذري: (1/ 41): إسناده لا بأس به، وضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة (327). . وأخبر { أن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء } لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا فطوبى للغرباء" . أخرجه مسلم برقم (145). . وفسَّرهم بأنهم الذين: { يصلحون عند فساد الناس } أخرجه الطبراني في الكبير: (6/202)، وفي الصغير: (1/104). وفي الأوسط، وأورده الهيثمي في المجمع: (7/278)، وابن عدي في الكامل: (2/462)، من حديث سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه-. وفي أسانيدهم بكر بن سليم الصواف، قال ابن عدي: وهو من جملة الضعفاء، فالحديث بهذا الإسناد ضعيف، لكنه يرتقي بالطرق والروايات الأخرى. أو: { يصلحون ما أفسد الناس } جزء من حديث أخرجه الترمذي برقم (2630)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو نعيم في الحلية: (10/2- 98)، وأورده البغوي في شرح السنة: (1/ 120- 121)، وابن عدي في الكامل: (6/ 280)، من حديث عمرو بن عوف المزني -رضي الله عنه- من طريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، والحديث بهذا اللفظ ضعيف؛ لأن فيه كثير بن عبد الله، قال الشافعي: "ركن من أركان الكذب". وضعفه ابن المديني، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث. فهذا الإسناد ضعيف جدا، لكن الحديث صح من طرق أخرى وأصله في مسلم. أو: { الذين يفرون بدينهم من الفتن } أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص:187). والبيهقي في الزهد الكبير: (206). وأبو نعيم في الحلية: (1/25)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وفيه سفيان بن وكيع بن الجراح، قال ابن حجر في التقريب: صدوق إلا أنه ابتلي بورَّاقِهِ فأدخل عليه ما ليس من حديثه فسقط حديثه، فالحديث ضعيف جدًّا بهذا الطريق. وأخبر بأن: { المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير } جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (2664) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. ويريد بالقوة القوة المعنوية، وهي الجرأة على إظهار الحق، والدعوة إليه، وعدم هيبة الناس، وعدم الخوف إلا من الله -تعالى- فلذلك كله كان من واجبات الإسلام الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الذي شرطه الله -تعالى- لكون هذه الأمة خير الأمم، بقوله -تعالى- { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } . فمتى قامت بهذا الشرط وتحققت بهذا الوصف، نصرها الله -تعالى- ومكن لها في الأرض، كما قال -تعالى- { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } ومتى أخلت بهذا الشرط سلبت هذه الخيرية، وأوشك أن ينزل بها العذاب، كما حكى النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك عن بني إسرائيل، حيث قال: { إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، أن كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم على بعض. ثم قال: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ } الآيات، ثم قال: كلا والله لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضا، ثم يلعنكم كما لعنهم } أخرجه أبو داود برقم (4336). والترمذي برقم (3047) بنحوه. وابن ماجه برقم (4006) بنحوه عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-. رواه أحمد وأهل السنن بعدة روايات، وحسنه الترمذي. وقد حكى الله عن بني إسرائيل لما اعتدوا في السبت، أن بعضهم نهى وأنكر، وبعضهم سكت أو وبخ من وعظهم، فأنزل الله العذاب بالمعتدين، ونجى الذين ينهون عن السوء، فقال -تعالى- { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } فأهلك الظالمين، وأنجى الناهين، وسكت عن الذين قالوا: لِمَ تعظون. وقد روى أبو داود وابن حبان في صحيحه عن جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: { ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون، إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا } أخرجه أبو داود برقم (4339). والطبراني في الكبير (2/ 378). وابن حبان (1839، 5594). وأورده التبريزي في المشكاة (5143). وهذا وعيد شديد، وخطر كبير يهدد الأمة عند انتشار المنكرات وعدم تغييرها، وهو أن العقوبة إذا نزلت عمت الصالح وغيره، كقوله -تعالى- { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } . وفي حديث زينب أم المؤمنين قالت: { يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث" } جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (3346) و(3598) و (7059) و (7135). ومسلم برقم (2880). متفق عليه وفي حديث أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- عند أبي داود وغيره: { ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم لا يغيروا؛ إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب } أخرجه أبو داود برقم (4338). والترمذي برقم (2169) و(3059) بنحوه. وابن ماجه برقم (4005) بنحوه. وأحمد في المسند: (1/ 2، 5، 7، 9). قال الترمذي: في الباب عن عائشة وأم سلمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن عمر وحذيفة: وهذا حديث صحيح. وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند (1): إسناده صحيح. وقال الأرناؤوط في شرح السنة (14/ 344): إسناده صحيح. . وروى الحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: { إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تودع منهم } أخرجه أحمد في مسنده (2/189، 190- 2/163). والحاكم (4/96). وأورده الهيثمي في المجمع (7/ 262). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (6521): إسناده صحيح. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (3/ 421). . وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: { أمرني رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بسبع: أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا.. } أخرجه الإمام أحمد (5/ 159) والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 91). وأورده التبريزي في المشكاة (5259). . الحديث. وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- { أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: "يا أيها الناس إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم" } أخرجه أحمد في المسند (6/156). وأخرج بعضه ابن ماجه (4004). وأورده الهيثمي في المجمع (7/66). وإسناده ضعيف. . رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وكل هذه الأحاديث وأمثالها تفيد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان ما يترتب على تركه من عموم العقاب، وانتشار المنكرات، وتمكن العصاة، وكثرة الشرور، وذلك مما يبين أهمية هذا الواجب، ولزوم الأمة القيام به أتم قيام. ولذا كان جهابذة الأمة وعلماء السنة يذكرون بالغيرة على حرمات الله، وإنكار المنكر مهما كانت درجة أهله، ويؤيدهم من في زمانهم من الخلفاء والملوك، ويمكنونهم من القضاء على الفساد وأهله. ومن أقرب مثال ما حكى لنا الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد -رحمه الله تعالى- أن الملك عبد العزيز -رحمه الله- عينه وجماعة معه بمكة بوظيفة الحسبة، فاشترطوا ثلاثة شروط: الأول : إعطاؤهم الصلاحية في الحبس والجلد، وإتلاف أجهزة اللهو، ودنان الخمر، والدخان والنارجيل، وهدم القباب التي على القبور، وعقوبة من يبتدع في الدين كالموالد ونحوها. الشرط الثاني: العفو عن الأخطاء إذا حصلت منهم، وتحمل أرش ذلك، ولو أدى إلى قتل الأبرياء أو إتلاف ما لا يحق إتلافه، فالإمام يتحمل ذلك. الشرط الثالث: أن لا يسمع فيهم قول قائل، ولا وشاية واشٍ، ولو تكلم فيهم كبير أو أمير أو وزير، وذلك أن الأعداء لهم كثير. وقد أعطاهم الملك -رحمه الله- ذلك كله، مما كان سببا في تطهير البلد الحرام، والقضاء على الفساد، بعد أن كان متمكنا هناك عشرات السنين. وهكذا في جميع البلاد السعودية، فلقد كان هذا الملك -رحمه الله- كلما خرج ضحى من منزله، وجد الناس صفوفا ببابه من أصحاب المظالم والشكاوى، فيقول لهم: من كان يريد شكوى الشيخ عمر بن حسن ورجال الهيئة فلا يتكلم، فإنا لا نسمع شكواه، وهكذا أولاده بعده -رحمهم الله تعالى- ووفق الأحياء لنصرة الحق والدين. ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المنزلة، اهتم العلماء بأحكامه، وما يتعلق بهذه الولاية، وكتبوا في ذلك قديما وحديثا، وأفضل من توسع فيه من المتأخرين الشيخ حمود بن عبد الله التويجري -رحمه الله تعالى- حيث ألف فيه رسالة قيمة، طبعت قبل ثلاثين عاما، بعنوان: "القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". وقد كتبت في هذا الموضوع أجوبة على ما رفعه إليّ بعض طلبة العلم من الأسئلة التي لها صلة برجال الحسبة وواجبهم، وواجب الأمة نحوهم، ووجوب هذا الأمر على الأمة في الجملة، وقد رتبها بعض الإخوان وصححوها، وخرجوا الأدلة فيها، وأضافوا إليها أجوبة نسخوها من أشرطة المحاضرات، تتعلق بالدعاة والمصلحين، وما يقال فيهم، وحيث إن فيها بعض الفوائد لمن قصد الحق، فقد أذنت بطبعها، رجاء أن تعم الفوائد لمن أراد الله به خيرا، مع اعترافي بالنقص والتقصير، والتماسي من الإخوة طلبة العلم أن ينبهوني على ما قد أقع فيه من الأخطاء والمخالفات، والله عند لسان كل قائل وقلبه، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين